الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم
الأثر البياني لصوتي الغنة و المد الفرعي في سورة (المنافقون)
د. سهاد جاسم عباس

ملخص البحث

هذا بحث يركز على دور الأداء القرآني في إبراز المعاني القرآنية وبيانها، من خلال الوقوف على مواضع المدّ والغنة في سورة (المنافقون) . وهو بحث استقام في مبحثين، أولهما تناول صوت الغنة ، متحريا مواضعها في السورة، مركزا على الدلالات التي وردت عليها . أمّا ثانيهما فتناول المد الفرعي ومواضعه في السورة ، محاولا بيان الدلالات التي يركز المد عليها. وختم البحث بنتائج عدة منها: وردت الغنة في النون من (لكنّ) المشددة، في موضعين من السورة، في سياق نفي الفقه ، وفي سياق نفي العلم عن المنافقين، و في الأسماء ، لم ترد الغنة إلاّ في النون المشددة من الكلمة (جنّة)، وفيه تركيز على معناها ، وهو التستر والخفاء الذي كان الغاية من أيمانهم. أمّا المد الجائز فيظهر في السور في الضمائر، و المد الواجب فقد ورد في لفظ (جاءك) من الأفعال. كما ورد المد الجائز بالأدوات ، فورد في الألف من (يا) الندائية وفيه تركيز على معنى النداء وتنبيه المنادى إلى ما سيأتي من كلام . كما ورد في (لا) النافية التي وقعت بين المعطوف وحرف العطف، وفيه تركيز على معنى النهي الموجه إلى الانشغال بالولد.

The Audio Miraculousness of the Holy Qur'an:
The Declarative Effect of Ghuna and Med sounds in
(Al- Monafyqoon Surah).

.
Prof. Suhad Jassem Abbas

Abstract.

This research focuses on the role of Qur'anic performance in highlighting the meanings of the Qur'an and its declaration by investigating (Ghuna) and (Med) sounds positions in Al- Monafyqoon Surah. The research deals with two topics: The first is to address the voice of the Ghuna and analyzing its places and semantic meaning. The second dimensions deals with the Med and analyzing its places and semantic meaning. The research ends up with the following results : Ghuna is uttered in two places : In the denial context of fiqh, and in the denial context of knowledge . It also occurs with the nouns as in (Gana) in which the focus is put on its meaning which is the Concealment and hidden part of their faith. The permissible (Med) is uttered in pronouns, and the obligatory (Med) is mentioned in the phrase "jaaka" . In addition, the obligatory (Med) is uttered in the negative ((La) in which the focus of the meaning of prohibition is directed at the preoccupation with the child.

من مظاهر الإعجاز الصوتي
في القرآن الكريم ..
الأثر البياني لصوتي الغنة و المد
الفرعي في سورة (المنافقون)

أ.د. سهاد جاسم عباس
الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

المقدمة

بسم الله، والحمد له، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين، وبعد ..

فالقرآن الكريم كلام الله الذي أنزل بلسان عربي مبين، أعجز سادة البيان واللسان العربي، وأبهرهم، فوقفوا أمامه بين خاشع مؤمن به، وبين عاجز معاند . فهو كتاب تتعلق به القلوب والأسماع والعقول؛ لغزارة معانيه، وإيجاز عباراته، وبداعة أساليبه، ودقة مآخذه، فما من حرف ولا حركة إلا وفيه إشارة إلى معنى، قد يظهر جليا أو يدق، فيحتاج إلى تأمل وتفكر.

وهذا بحث يركز على دور الأداء القرآني في إبراز المعاني القرآنية وبيانها، من خلال الوقوف على مواضع المدّ والغنة في سورة من سور الذكر الحكيم، وهي سورة (المنافقون) . وهو بحث استقام في مبحثين، أولهما تناول صوت الغنة، متحريا مواضعها في السورة، مركزا على الدلالات التي وردت مركزة عليها . أمّا ثانيهما، فتناول المد الفرعي ومواضعه في السورة، محاولا بيان الدلالات التي يركز المد عليها.

أمّا المصادر التي أفدت منها فيه، فهي تفاسير القرآن الكريم التي من أبرزها، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، والتحرير والتنوير لابن عاشور . كما أفدت من كتب معاني القرآن، وكتب اختصت في الأداء القرآني، وكتب اختصت في علم النحو ؛ لغرض بيان بعض الظواهر النحوية التي كان لها دور في بيان معنى بعض الجمل التي وردت في السورة.

وبعد هذا أسأل العلي القدير الفتح والتوفيق والسداد، والإخلاص في العلم والعمل، وان يجعل هذا العمل ذخرا في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بعقل سليم .

المبحث الأول
الغنة ومواضعها في سورة المنافقين

أولاً ـ صوت الغنة :

الغنة صوت يخرج من الخيشوم، وهو صوت لذيذ مركب فى جسم النون، ولو تنوينا، والميم، ومقدارها حركتان فقط [١]. والخيشوم هو « خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم.»[٢]

وللغنة حرفان، هما النون والميم، ويقال لهما الغنان ؛ لأنّ فيهما غنة تخرج من الخياشيم عند النطق بهما[٣]، فهي زيادة فيهما، ومثلهما التنوين[٤]، فهي صوتاً نون ساكنة . وقد سميت الميم بالحرف الراجع ؛ لأنّها ترجع إلى الخياشيم للغنة التي فيه . يقول ابن الجزري: « وينبغي أن يشاركها في هذا اللقب النون الساكنة، لأنها ترجع أيضاً إلى الخياشيم للغنة التي فيها.»[٥]

فالميم « مؤاخية النون، للغنة التي في كل منهما تخرج من الخيشوم، وأنهما مجهورتان.»[٦] وتظهر غنتها بمقدار حركتين عند تشديدها[٧]، وعند إخفائها . وهي تخفى عند ملاقاتها الباء[٨] ؛ بسبب التجانس بينها وبين الباء « مما يؤدى إلى سهولة النطق.»[٩]

---

(١) ينظر: العميد في علم التجويد ٣٤ .
(٢) التمهيد في علوم التجويد ١٥٩ .
(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر ١ / ٢٠٤ . والغنة صفة لازمة في حرفيهما، لا تنفكّ منهما . ينظر: هداية القاري ١ / ٩١ .
(٤) ينظر: إبراز المعاني من حرز الأماني ٧٥٠، والتمهيد في علم التجويد ٩٨ .
(٥) التمهيد في علم التجويد ٩٩ .
(٦) التمهيد في علم التجويد ١٤٣ .
(٧) ينظر: أحكام تجويد القرآن ٢ .
(٨) ينظر: التمهيد في علم التجويد ١٤٤ .
(٩) العميد في علم التجويد ٢٩ .

أمّا حرف النون، فتظهر غنتها بمقدار حركتين عند تشديدها[١]، وعند إدغامها إدغاما ناقصا، وإخفائها، وإقلابها. فهي تدغم عند ملاقاتها لحرف من حروف كلمة (يومن) إدغاماً ناقصاً غير مكتمل، فهي تذهب وتبقى غنتها، والعلة في إدغامها في النون « اجتماع المثلين والأول ساكن. وفي الواو والياء أن الغنة التي فيها أشبهت المد واللين اللذين فيهما، فحسن الإدغام لهذه المشابهة. وعلة الإدغام في الميم الاشتراك في الغنة، فتقاربا بهذا، فحسن الإدغام.»[٢]

أمّا الإخفاء، فهو « النطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام، عار عن التشديد مع بقاء الغنة فى الحرف الأول. والمراد بالحرف الأول هنا النون الساكنة والتنوين، وفى الإخفاء الشفوى الميم الساكنة.»[٣] وتخفى النون عند ملاقاتها واحدا من خمسة عشر حرفاً، وهي: الصاد، والذال، والثاء، والكاف، والجيم، الشين، والقاف، والسين، والضاد، والظاء، والزاي، والتاء، والدال، والطاء، والفاء[٤] . وعلة الإخفاء هي « أن هذه النون صار لها مخرجان: مخرج لها، ومخرج لغنتها، فاتسعت في المخرج، فأحاطت عند اتساعها بحروف الضم، فشاركتها بالإحاطة، فخفيت عندها.»[٥] و» عدم التقارب بين النون الساكنة والتنوين، وبين حروف الإخفاء الحقيقى كلها حتى يدغما، وعدم تباعدهما عنها كلها حتى يظهرا.»[٦]

أمّا الإقلاب، فيكون عند ملاقاة النون الساكنة أو التنوين صوت الباء، ومعنى القلب

(١) ينظر: أحكام تجويد القرآن ٢ .
(٢) التمهيد في علوم التجويد ١٥٦، وينظر: هداية القاري ١ / ١٦٦ .
(٣) العميد في علم التجويد ٢٩ .
(٤) ينظر: التمهيد في علم التجويد ١٥٨ .
(٥) التمهيد في علوم التجويد ١٥٩ .
(٦) العميد في علم التجويد ٢٩ .

هو «هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً قبل الباء مع مراعاة الغنة.»[1] كما يراعى الإخفاء في الحرق الذي انقلب إليه، وهو الميم، وله حرف واحد، هو الباء، إذا التقى بها صوت النون الساكنة في كلمة أو كلمتين [2] .

ولأنّ الغنة زيادة في زمن النطق بالحرف، سأحاول دراسة مواضعها في سورة (المنافقون)؛ لبيان أثر هذه الزيادة في المعنى التذي ترد فيه. بالتفصيل الآتي :

١ ـ في حرف النون:

أ ـ في النون المشدّدة: وردت النون المشددة في السورة، في المواضع الآتية:

ـ النون من حرف التوكيد (إنّ):

وهو حرف يفيد « توكيد الحديث.»[3] أي أنّه يفيد توكيد مضمون الجملة التي تدخل عليها، فهو يفيد معنى الجملة التي دخل عليها «مع زيادة التأكيد والمبالغة.»[4] والتوكيد بهذا الحرف متأت من تشديد النون، فهي إذا خففت جيء باللام الفارقة ؛ لترتقي بتوكيدها إلى منزلة التشديد، وبذلك نرى ابن السراج يذكر فائدة هذه اللام بأنها عوض عن النون المحذوفة منها، فضلاً عن تمييزها عن النفي، فنراه يقول: « وإذا خففت فهي كذلك إلا أنَّ لام التوكيد تلزمها عوضًا لما ذهب منها فتقول: إنَّ زيدًا لقائم ولا بدّ من اللام إذا خففت كأنهم جعلوها عوضًا ولئلا تلتبس بالنفي.»[5]

والنون المشددة من (إنّ) حكمها الغنة، وهي تتناسب ومعنى التوكيد الذي تؤديه . فهي لفظ يفيد توكيد مضمون الجملة التي تدخل عليها، بهمزتها ذات المخرج الحلقي،

(١) أحكام تجويد القرآن ٤ .
(٢) ينظر: هداية القاري ١ / ١٦٧، وأحكام تجويد القرآن ٤ .
(٣) الأصول في النحو ١ / ٢٢٩ .
(٤) الكناش في النحو والصرف ٢ / ٩١، وينظر: شرح الرضي على الكافية ٤ / ٣٣١ .
(٥) الأصول في النحو ١ / ٢٢٩ .

ونونها التي تمتد غنتها لمقدار حركتين، ليركز صوتها على دلالة التوكيد والتحقيق الذي ينصب على معنى جملتها. وقد ورد ذلك في المواضع الآتية من سورة المنافقين:

قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾

وردت (إنّ) ذات النون المشددة المصاحبة للغنة، في ثلاثة مواضع من هذه الآية ، الأوّل في جملة مقول القول التي تبين شهادة المنافقين في حضرة النبي (صلى الله عليه وسلم): (نشهد إنّك لرسول الله). فهم يؤكدون شهادتهم بـ(إنّ) مرة وبلام التوكيد في خبرها مرة أخرى؛ حرصا منهم على إظهار خبرهم هذا وكذبهم عليه (صلى الله عليه وسلم) في صورة الخبر الصادق؛ ليوهموا سامعيهم بصدقهم .

كما وردت في الجملة الاعتراضية في قوله تعالى: (والله يعلم إنّك لرسوله)، وفي هذه الجملة دلالة على عدم ضرر النفاق بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وصدق رسالته، فالله العلي العظيم، هو الذي أرسله واصطفاه، يشهد رسالته، قال الماوردي: « أي إن نافق من نافقك من علم الله بأنك رسوله فلا يضرك.»[1]

كما ورد صوت الغنة في بيان شهادة الله تعالى بكذب المنافقين، في قوله تعالى: (والله يشهدُ إنّ المنافقين لكاذبون)، تحديداً في صوت النون المشدّدة من حرف التوكيد (إنّ)، التي تؤكّد اتصافهم بالكذب؛ « لأنهم أقروا بألسنتهم ولم يعرفوا بقلوبهم، فلذلك سماهم منافقين.»[2] كما فهذه الشهادة من ربهم السميع، علام الغيوب، فهو إخبار مؤكد بكذبهم في اعتقادهم بما يقولون، فهم «لم تواطىء قلوبهم ألسنتهم على تصديقك، واعتقادهم

(١) النكت والعيون ٦ / ١٤ .
(٢) تفسير التستري ١٦٨ .

أنك غير رسول، فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم، أو كاذبون عند أنفسهم.»[1] وهذه الجملة معطوفة على الجملة التي تبين كذبهم أمامه (عليه الصلاة والسلام): (قالوا نشهد...)[2]، وقد جاءت بأسلوب خبري أسندت فيه الجملة الفعلية (يشهد) إلى المبتدأ الذي يدلّ على الشاهد، وهو خالقهم وبارئهم علام الغيوب الذي تكرر لفظ اسمه العظيم تفخيماً وتعظيماً[3] . وقد تقدم المسند إليه " على الخبر الفعلي لتقوي الحكم."[4]

ويرد أسلوب الذم المؤكدّ بـ(إنّ) التي تتميز بغنة نونها المشددة، ففيه تركيز ما تدلّ عليه من توكيد لاتصاف اسمها (الضمير المتصل بها) بخبرها، وهو جملة الذمّ (ساء ما يعملون)، وهي تدل على ذم أفعالهم، « حيث أظهروا الإيمان وأسروا الكفر، وصدوا الناس عن الإيمان.»[5]

وجاء الاستئناف البياني بالجملة الاسمية (ذلك بأنّهم آمنوا ثم كفروا)، وقد ابتدأت باسم الإشارة (ذلك) الذي يشير إلى « الحلف وصرف الناس عن الإيمان.»[6] أو إلى الحلف والنفاق[7]. وهذا سببه هو كفرهم بعد إيمانهم، وقد جاءت الجملة المتضمنة لتعليل أفعالهم هذه متصدرة بـ(أنّ) ذات الهمزة المفتوحة، والنون المشددة بغنتها، وقد دخلت عليها باء الجر التي تفيد التعليل، وفيها توكيد وتحقيق من مفهوم لجملتها، فهم آمنوا، أي: « أقروا باللسان علانية، ثم كفروا يعني: كفروا في السر. فطبع على قلوبهم

(١) البحر المحيط ٨ / ٢٦٧ .
(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٣٥ .
(٣) الهداية في بلوغ النهاية ١٢ / ٧٤٧٩ .
(٤) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٣٥ .
(٥) بحر العلوم ٣ / ٤٥١ .
(٦) بحر العلوم ٣ / ٤٥١ .
(٧) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢ / ٧٤٨١ .

بالكفر، فهم لا يفقهون الهدى ولا يرغبون فيه.»[1]

وبعد هذا المعنى يرد الاستئناف البياني، متمثلا بالجملة المؤكدة بـ(إنّ)، التي تتميز بغنة نونها المشددة، ففيه تركيز ما تدلّ عليه من توكيد لاتصاف اسمها (الضمير المتصل بها)، في قوله تعالى: (إنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين).، فهو تعالى « لا يوفق للإيمان القوم الكاذبين عليه، الكافرين به، الخارجين عن طاعته.»[2] و « لا يرشدهم إلى دينه، لأنهم لا يرغبون فيه.»[3]

ويرد أسلوب الذم المؤكدّ بـ(إنّ) بغنتها التي تركز صوتيا على معنى التأكيد لجملة الذم في قوله تعال: (إنّهم ساء ما كانوا يعملون)، وهي تدل على ذم أفعالهم، « حيث أظهروا الإيمان وأسروا الكفر، وصدوا الناس عن الإيمان.»[4]

وبعد هذا العرض يمكن القول إنّ حرف التوكيد (إنّ)، المشددة نونه ورد في أوّل السورة على لسان المنافقين، وهم يؤكدون كلامهم في حضرة النبي (صلى الله عليه وسلّم)، يقابله إخبار من الله العليم الخبير، بصدق رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم ورد في سياقات تتبين فيها أحكام تتعلق بالمنافقين (إنّ المنافقين لكاذبون)، (إنّهم ساء ما يعملون)، (ذلك بأنّهم آمنوا ثم كفروا...)، (إنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين) .

ـ في النون المشددة من (كأنّ) :

وهو حرف يفيد التشبيه المؤكد[5]، يفيد تشبيه اسمها بخبرها عل سبيل التوكيد، فإنّ أصله كاف التشبيه، دخلت على (أنّ) المفتوحة الهمزة، التي تفيد توكيد مضمون الجملة

(١) بحر العلوم ٣ / ٤٥١ .
(٢) جامع البيان ٢٣ / ٤٠٠ .
(٣) بحر العلوم ٣ / ٤٥١ .
(٤) بحر العلوم ٣ / ٤٥١ .
(٥) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣ / ٣٣١ .

التي تدخل عليها وتحقيقه . فهي تنتهي بنون مشددة، ذات الغنة التي تتيح للقارئ أن يتوقف عندها مقدارا من الزمن، مدته حركتان، وهو وقوف يتيح له التركيز على دلالتها التشبيهية . وقد ورد ذلك في سورة (المنافقون) في قوله تعالى: (كأنّهم خُشُبٌ مسنّدة) في موضعين ،فغنّة النون المشدّدة في حرف التشبيه المشبّه بالفعل (كأنّ)، تتبعها غنّة أخرى، في صوت التنوين المدغم مع الميم بعده (خُشُبٌ مسنّدة)، ففيه تركيز صوتي على الموضع الذي وصف المشبه به (خُشُب)[1] بصفته (مسنّدة) . ووجه الشبه هو انعدام الخير والفهم والعلم، فهم كالخشب المسنّدة « لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول.»[2]

قال الزجاج: « كأنه وصفهم بتمام الصور وحسن الإبانة، ثم أعلم أنهم في تركهم التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب فقال: (كأنهم خشب مسندة). »[3] فـ»كأن أجسامهم خشب مسندة بعضها على بعض قائما، وإنها لا تسمع ولا تعقل، ويقال: خشب مسندة يعني: خشب أسند إلى الحائط، ليس فيها أرواح، فكذلك المنافقون لا يسمعون الإيمان ولا يعقلون.»[4] فهم لا خير فيهم، ولا علم ولا عقل[5] . أما الماتريدي فيقول: « إنهم فيما يكون من جانبهم وناحيتهم من حسن الصورة والبيان بحيث يعجبك، وفيما يلقى إليهم من الحق والدين والحكمة كأنهم خشب مسندة لا ينجع فيهم الحق ولا يقبلونه كالخشب المسندة.»[6] فعلى قوله هذا يكون وجه الشبه هو عدم الاستقبال والإفادة مما يقال لهم،

(١) ومعنى خشب مسندة: العُمُد، وهو مثل الخشب، وقال بعضهم: الخشب . ينظر: معاني القرآن للفراء ٢ / ٥٤٣ .
(٢) جامع البيان ٢٣ / ٣٩٥ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥ / ١٧٦ .
(٤) بحر العلوم ٣ / ٤٥١ .
(٥) ينظر: الهداية في بلوغ النهاية ١٢ / ٧٤٨٢ .
(٦) تأويلات أهل السنة ١٠ / ٢٢ .

وعدم تقبله .

ويذكر وجها أخر هو أنّ « الخشب المسندة في الظاهر هي الخشب اليابسة التي لا أجواف لها فيوضع فيها شيء، فكذلك المنافقون كأنهم لا أجواف لهم يوضع فيها الحكمة والدين والحق... وجائز أن يكون معناه: كأنهم خشب مسندة؛ من حيث إن الخشب المسندة، ليس لها أسماع ولا أبصار ولا قلوب، فكذلك المنافقون كأنهم بكم عمي في ناحية الحق وقبوله، والله المستعان..»[1] فيكون وجه الشبه على هذا انعدام الجوف والأسماع والأبصار والقلوب .

ـ في النون المشددة من (لكنّ):

وهو حرف يفيد الاستدراك، تتوسط بين كلامين متغايرين في المعنى، وتستعمل بنونها المشددة التي تقتضي الغنة ذات الحركتين، كما تستعمل مخففة بدون تشديد للنون، فيلغى عملها في الجلمة بعدها، ويجوز استعمال الواو قبلها[2]، والاستدراك هو « رفع توهم يتولد من الكلام السابق، رفعا شبيها بالاستثناء، ومن ثم قدر الاستثناء المنقطع بلكن، فإذا قلت: جاءني زيد، فكأنه توهم أن عمرا جاءك لما بينهما من الألفة، فرفعت ذلك التوهم بقولك: لكن عمرا لم يجئ.»[3] وهي تتفيد توكيد الخبر بعدها، مع الاستدراك، وذكر ابن السراج أنّ (لكنّ) الاستدراكية تفيد التحقيق مع عطف « حال على حال تخالفها.»[4] وفي سورة المنافقين وردت (لكنّ) ذات النون المشددة، التي يصاحبها صوت الغنة، في موضعين في السورة، أحدهما فيه توكيد نفي الفقه عنه، والآخر فيه توكيد نفي العلم عنهم، وتفصيل ذلك بالآتي:

(١) تأويلات أهل السنة ١٠ / ٢٢ .
(٢) الكافية في النحو ٥٣ .
(٣) شرح الرضي على الكافية ٤ / ٣٣٢ .
(٤) الأصول في النحو ١ / ٢٢٩ .

في قوله تعالى: (ولكن المنافقين لا يفقهون) جاءت هذه الجملة استدراكاً على الجملة السابقة لها (ولله خزائن السماوات والأرض)، بعد ذكر كلامهم الذي يتضمن النهي عن الإنفاق على أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ لغرض نفي الفقه عنهم والعلم بأنّ « أن الله رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم.»[1] وأنّ « خزائن الأرزاق بيد الله عز وجل وأنه لباسط القابض المعطي المانع .»[2] وأنّ « أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.»[3] . والسبب في عدم علمهم بهذا هو جهلهم « بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون.»[4] فهم « لا يدركون دقائق المدركات وخفاياها.»[5]

وقد جاءت (لكنّ) الاستدراكية، ذات النون المشددة ؛ التي تمتدّ غنّتها بمقدار حركتين، مركزة على معنى الاستدراك فيها، وما يليها من دلالة يتضمنها الخبر الذي يتصف به اسمها (المنافقين)، وهذا الخبر متضمن نفي الفعل المضارع (يفقهون) عنهم، الذي جاء مكتفيا بفاعله دون مفعوله، « أي لا يفقهون ذلك وهو مضمون لله خزائن السماوات والأرض، أو نزل الفعل منزلة اللازم مبالغة في انتفاء فقه الأشياء عنهم في كل حال.»[6]

ونجد حرف الاستدراك (لكنّ) وغنة نونه المشددة مذيلاً للآية التالية، في قوله تعالى: (ولكن المنافقين لا يعلمون) بعد الجملة التي تبين أنّ العزة والغلبة والقوة والمنعة

(١) زاد المسير ٤ / ٢٨٩ .
(٢) فتح القدير ٥ / ٢٣٢ .
(٣) مفاتيح الغيب ٣٠ / ٥٤٩ .
(٤) إرشاد العقل السليم ٨ / ٢٥٣، وينظر: روح البيان ٩/ ٥٣٦ ، وروح المعاني ١٤ / ٣١٠ .
(٥) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٤٨ .
(٦) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٤٨ .

له تعالى، ولرسوله (صلى الله عليه وسلم)، ولمن اتبعه من المؤمنين[1] . فقد نفي العلم عنهم ، فهم لا يعلمون «أن الله معز أوليائه ومذل أعدائه.»[2] وهم لا يعلمون ما « فيه النفع فيفعلونه، وبما فيه الضر فيجتنبونه، بل هم كالأنعام لفرط جهلهم، ومزيد حيرتهم، والطبع على قلوبهم.»[3]

وقد نفي عنهم العلم « تجهيلا بسوء التأمل في أمارات الظهور والانحطاط، فلم يفطنوا للإقبال الذي في أحوال المسلمين وازدياد سلطانهم يوما فيوما وتناقص من أعدائهم، فإن ذلك أمر مشاهد فكيف يظن المنافقون أن عزتهم أقوى من عزة قبائل العرب الذين يسقطون بأيدي المسلمين كلما غزوهم من يوم بدر فما بعده.»[4]

ـ في نون التوكيد الثقيلة:

هي نون تلحق الفعل المضارع واللأمر لغرض توكيد الحدث الذي يتضمنه، وهي إمّا ثقيلة مشددة، أو خفيفة بدون تشديد، « والنّون الثّقيلة أشدّ توكيدا من الخفيفة؛ للتّضعيف الذى فيها.» وتدل على الزمن المستقبل ؛ فإذا لحقت المضارع خصته بالاستقبال، وامتنعت دلالته على الحال[5]. فتضعيف النون مستلزم للغنة بمقدار حركتين، وهو ما يقتضي التركيز الصوتي على صوت النون؛ مما يتلاءم مع شدة توكيدها للمعنى الفعل الذي تتصل به .

وفي هذه السورة نجد نون التوكيد قد دخلت على المضارع في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ (المنافقون: من الآية ٨)

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ٨ / ٢٥٤ .
(٢) روح البيان١٤ / ٣١١ .
(٣) فتح البيان ١٤ / ١٥٢ .
(٤) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥٠ .
(٥) ينظر: الخصائص ٣ / ٨٥ .

وبأسلوب القسم المحذوف المقترن بالشرط ، يرد توعدهم للمؤمنين ((لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)، إذ جاء جواب القسم المحذوف المقترن باللام الواقعة في جوابه مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة المشددة التي يظهر فيها صوت الغنة بمقدار حركتين . وهذا الفعل أسند إلى فاعله اسم التفضيل (الأعزّ)، الذي يدلّ في هذا الموضع على الشدة والقوة[1] ، ويتعدى هذا الفعل إلى مفعوله، وهو اسم تفضيل أيضاً (الأذلّ) . وبهذا تظهر المطابقة بين الفاعل ومفعوله. فهذه المقالة ذكرت على لسان المنافقين في المدينة؛ فهي من كلام ابن سلول «ويعني بالأعز: نفسه وأصحابه، وبالأذل: المؤمنين.»[2] وإسناد القول في الآية «إلى المنافقين لرضاهم به.»[3] و» لكونه كان رئيسهم وصاحب أمرهم.»[4] وقد جاء هذا الكلام والوعيد بالإخراج مؤكداً بالنون الثقيلة، ذات الغنة التي يتناسب وقعها مع معنى التوكيد الذي أرادوه، وما تنمّ عنه نواياهم الخبيثة، « إذ أرادوا التهديد وإفساد إخلاص الأنصار وأخوتهم مع المهاجرين بإلقاء هذا الخاطر في نفوس الأنصار بذرا للفتنة والتفرقة وانتهازا لخصومة طفيفة حدثت بين شخصين من موالي الفريقين.»[5] إذ « توهموا أن العزة بكثرة الأموال والأتباع ؛ فبين الله أن العزة والمنعة والقوة لله.»[6] فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ (المنافقون: من الآية ٨) وبذلك أبطل قولهم، « والمعنى: إن كان الأعز يخرج الأذل فإن المؤمنين هم الفريق الأعز. وعزتهم بكون الرسول صلى الله

(١) ذكر الطبري أنّ معنى الأعزّ هنا هو الأشد والأقوى . ينظر: جامع البيان ٢٣ / ٤٠٢ .
(٢) البحر المحيط ١٠ / ١٨٣ .
(٣) روح البيان ٩ / ٥٣٨ .
(٤) فتح القدير ٥ / ٢٣٢ .
(٥) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٤٩ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٢٩ .

عليه وسلم فيهم وبتأييد الله رسوله صلى الله عليه وسلم وأولياءه لأن عزة الله هي العزة الحق المطلقة، وعزة غيره ناقصة، فلا جرم أن أولياء الله هم الذين لا يقهرون إذا أراد الله نصرهم ووعدهم به. فإن كان إخراج من المدينة فإنما يخرج منها أنتم يا أهل النفاق.»[1]

ـ في النون المشددة في (أنّى) الاستفهامية :

وهي من الظروف، وأصلها الاستفهام، فتكون للمكان بمعنى (من أين)، وتكون للحال بمعنى (كيف) [2]. كما تستعمل للزمان بمعنى (متى)[3]. وتأتي الجملة الفعلية التي ابتدأت بالفعل الماضي)قاتلهم الله أنى يؤفكون)، وهي جملة تدلّ على لعنة الله تعالى لهم[4]، وأنّ مصيرهم خزي ؛ لغضب الله تعالى عليهم، والمعنى: « يقول: أخزاهم الله إلى أي وجه يصرفون عن الحق.»[5] ليرد الظرف (أنّى) ذو النون المشددة، مع غنتها التي تمتد إلى حركتين، في سياق «التعجيب من حالهم»[6] وذمهم وتوبيخهم[7]، والمعنى: «كيف يعدلون عن الحق؛ تعجباً من جهلهم وضلالتهم .»[8] فـ «كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل»[9] و « من أين يصرفون عن الحق إلى الباطل.»[10] فـ(أنى)

(١) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٤٩ .
(٢) ينظر: شرح المفصل ٤ / ٢٦٩، وينظر: شرح الرضي على الكافية ٣ / ٢٠٣ .
(٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٣ / ٢٠٣ .
(٤) ينظر: الكشف والبيان ٩/ ٣٢٠ .
(٥) جامع البيان ٢٣ / ٣٩٦ .
(٦) روح المعاني ١٤ / ٣٠٧، وينظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٤٢ .
(٧) ينظر: فتح البيان ١٤ / ١٤٩ .
(٨) الكشاف ٤ / ٥٤٣، وينظر: التفسير الكبير ٣٠ / ٥٤٧، والبحر المحيط ١٠ / ١٨١، والبحر المديد ٧ / ٤٩ .
(٩) الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٢٦، وفتح البيان ١٤ / ١٤٩ .
(١٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥ / ١٧٦، وينظر: بحر العلوم ٣ / ٤٥١ . وفي معنى يؤفكون قولان، أحدهما الامتناع عن الإيمان بالنبي (صلى الله وعليه وسلم وطاعته، والآخر معناه يكذبون تقليداً للكفرة من دون حجة أو برهان . ينظر: تأويلات أهل السنة ١٠ / ٢٤ .

ذات النون المشددة، دلت على معنى الحالية التي فسرت بـ(كيف)، والمكانية التي فسرت بـ(من أين)، وفيها معنى التعجيب من حال المنافقين . ويجوز أن تكون (أنى) ظرفاً للفعل (قاتلهم)، والمعنى: « قاتلهم الله كيف انصرفوا أو صرفوا.»[1] وذكر ابن عاشور أنّها هنا للاستفهام عن المكان، فالظرفية المكانية أصلها، كثر في الاستعمال تضمنه معنى الاستفهام. وقد يستعمل بمعنى (كيف)، فيكون للمكان المجازي، وهو المراد في هذه الآية، وجملة « (أنى يؤفكون) بيان للتعجيب الإجمالي المفاد بجملة (قاتلهم الله.).»[2]

ـ في الأسماء :

ورد صوت الغنة في لفظة (جنة) من قوله تعالى: (اتخذوا أيمانهم جنّة)، معنى الجنة هو السترة « سترة يسترون بها كما يستتر [المستجن] بجنته في الحرب، فامتنعوا بأيمانهم من القتل والسبي.»[3] ومن هنا يرى ابن الجزي أنّ في استعمال هذا اللفظ في هذا الموضع استعارة، فهم « كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم.»[4] وقد بين ابن عاشور هذه الاستعارة بقوله: « والمعنى: جعلوا أيمانهم كالجنة يتقى بها ما يلحق من أذى. فلما شبهت الأيمان بالجنة على طريقة التشبيه البليغ، أتبع ذلك بتشبيه الحلف باتخاذ الجنة، أي استعمالها، ففي اتخذوا استعارة تبعية، وليس هذا خاصا بحلف عبد الله بن أبي أنه قال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»، كما تقدم في ذكر سبب نزولها، بل هو أعم، ولذلك فالوجه حمل ضمائر الجمع في قوله: اتخذوا أيمانهم الآية على حقيقتها، أي اتخذ المنافقون كلهم أيمانهم جنة، أي كانت تلك تقيتهم، أي تلك شنشنة

(١) المحرر الوجيز ٥ / ٢٨٦، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٩ / ١١٠ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٤٢ .
(٣) الهداية في بلوغ النهاية ١٢ / ٧٤٨٠، وينظر: لباب التأويل ٧ / ٩٧، وفتح البيان ١٤ / ١٤٦، والتحرير والتنوير ٢٨ / ٢٣٦ .
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٣٥٥.

معروفة فيهم.»[1]

٢ـ صوت الغنة في النون الساكنة:

أ ـ ما كان منها بسبب الإدغام الناقص:

وردت الغنة الحاصلة من الإدغام الناقص للنون فيما يليها من الحروف التي تقتضي هذا النوع من الإدغام، في مواضع من سورة المنافقين، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾

ورد صوت الغنة في النون الساكنة من حرف الشرط (إن): (وإن يقولوا تسمع لقولهم)، أي: « وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس.»[2] و « تصدقهم فتحسب أنهم محقون.»[3] فالنون من حرف الشرط التقت بياء المضارع المسند إلى ضميرهم (يقولوا)، فأدغمت النون فيها إدغاماً ناقصاً، فتحول صوتها إلى صوت الياء مندمجاً مع ياء المضارعة، فصارت ياء مشددة، يظهر فيها صوت الغنة التي هي للنون . ومن هنا صار التركيز الصوتي على الياء من المضارع من القول المسند إلى المنافقين، فهو قول كذب يصدر منهم، ببيان حسن يجذب الأسماع إليه .

كما جاء تركيز صوت الغنة على نفي المغفرة لهم (لن يغفر الله لهم)، فالنون من حرف النفي (لن) مدغمة إدغاماً بغنة مع الياء من المضارع المنفي بها (يستغفر). فالتركيز الصوتي في الآية على دلالة نفي المغفرة في الحالين اللتين وردتا في سياق التسوية بين نقيضين تمثلا في المقابلة بين الاستغفار وعدمه. وفي بيان هذه التسوية ؛ إذ إنّ النتيجة

(١) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٣٦ .
(٢) جامع البيان ٢٣ / ٣٩٥ .
(٣) بحر العلوم ٣ / ٤٥١ .

محتومة في عدم المغفرة لهم، فـ « لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم، بل يعاقبهم عليها.»[1]

ب ـ ما كان منها بسبب الإخفاء :

ومما ورد من الغنة بسبب الإخفاء الحاصل في النون الساكنة ما جاء في قوله تعالى: (فصدوا عن سبيل الله) . ومعنى الصدّ عن سبيل الله هو الإعراض، ذكر الطبري أنّ المعنى «فأعرضوا عن دين الله الذي بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم وشريعته التي شرعها لخلقه.»[2] وقيل إنّ المعنى: صدوا الناس ومنعوهم عن دين الله وعن الإيمان به (صلى الله عليه وسلم)[3] . فهم إن أعرضوا، وإن منعوا غيرهم، كان موضع الإعراض والمنع هو سبيل الله تعالى، وطاعته وطاعة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وكل ما يتعلق بها . ومن هنا نجد صوت الغنة تحديداً في النون الساكنة من حرف الجر (عن) عند التقائها بصوت السين من كلمة (سبيل): (عن سبيل الله). فالنون مخفاة إخفاء يقتضي الغنة، وهو ما يتناسب مع فعلهم في الصد عن سبيل الله، فهو الحق واضحا جليا، وما من صادّ عنه إلا ويتحرى إخفاء هذا الحق الجليّ والإضلال عنه.

كما وردت غنة النون الساكنة المخفاة لالتقائها بأحد حروف الإخفاء، في ثلاثة مواضع من قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾

تبين الآية موقف المنافقين من المسلمين مبتدئة بأسلوب القصر بتعريف الخبر، إذ ورد اسما موصولاً تبين صلته موقفهم من المسلمين (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) . فالجملة هنا تبين أنّ المنافقين هم « الذين يقولون لأصحابهم

(١) جامع البيان ٢٣ / ٤٠٠ .
(٢) جامع البيان ٢٣ / ٣٩٤، وينظر: تفسير القرآن للسمعاني ٥ / ٣٩٢ .
(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة ١٠ / ١٩، وبحر العلوم ٣ / ٤٥١، وتفسير القرآن للسمعاني ٥/ ٤٤١ .

(لا تنفقوا على من عند رسول الله) من أصحابه المهاجرين (حتى ينفضوا) يقول: حتى يتفرقوا عنه.»[1]

ونرى تركيز صوت الغنة على ثلاث دلالات تبين ما يجول في خواطر المنافقين، وغلهم وحقدهم على المؤمنين لإيمانهم، فالموضع الأول للغنة هو النون من الفعل المنهي عنه، (تنفقوا)، فالتركيز على موضع النهي من قولهم، وهو حرصهم على منع المؤمنين وحرمانهم، وهو طريقتهم في عداء المؤمنين. أمّا الموضع الثاني فهو تركيز على الظرف (عند)، وهو الذي يدلّ في هذا الموضع على المصاحبة للنبيّ (صلى الله عليه وسلم) واتباعه، وهو سبب عدائهم لهم. والموضع الثالث للغنة، فهو في نون الفعل المضارع المنصوب بـ(حتى) التي تفيد الغاية (ينفضوا)، وهي غاية يسعون لها ويتمنون تحققها .

٢ غنة الميم: وردت غنة الميم في هذه السورة في حالة تشديدها في مواضع، وفي حالة إدغامها بمثلها في موضع واحد، وسيتمّ بيان ذلك بالآتي :

أ ـ غنة الميم المشددة:

ورد الاستئناف البياني بالجملة الاسمية (ذلك بأنّهم آمنوا ثم كفروا)، التي ابتدأت باسم الإشارة (ذلك) الذي يشير إلى « الحلف وصرف الناس عن الإيمان.»[2] أو إلى الحلف والنفاق[3] وأفعالهم المشينة، في سياق بيان سببها بعدم ثباتهم على الإيمان، وتحولهم إلى الكفر بعد إيمانهم (آمنوا ثم كفروا)، فهم « أقروا باللسان علانية، ثم كفروا يعني: كفروا في السر. فطبع على قلوبهم بالكفر، فهم لا يفقهون الهدى ولا يرغبون فيه.»[4] فصوت الغنة في الميم المشددة من حرف العطف (ثمّ) الذي يشير إلى الانتقال من الحدث

(١) جامع البيان ٢٣ / ٤٠١ .
(٢) بحر العلوم ٣ / ٤٥١ .
(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢ / ٧٤٨١ .
(٤) بحر العلوم ٣ / ٤٥١، وينظر: مفاتيح الغيب ٣٠ / ٥٤٦، وأنوار التنزيل ٥ / ٢١٤ .

الذي سبقه (آمنوا) إلى الحدث الذي يليه (كفروا) ؛ مما يدل على «استخفافهم بالأيمان ومراجعتهم الكفر مرة بعد أخرى.»[1]

ب ـ غنة الميم الساكنة :

وردت الغنة في صوت الميم الساكنة ؛ بسبب إدغامها مع مثلها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

إذ وردت في الجملة الحالية التي ارتبطت بالجملة الفعلية التي تحكي إعراضهم عن الاستغفار: (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون)، أي: « ورأيتهم يعرضون عما دعوا إليه بوجوههم (وهم مستكبرون) يقول وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم.»[2] وفيها غنة في الميم من الضمير المنفصل الذي يدلّ على المنافقين (هم) مدغمة في الميم من لفظ الخبر (مستكبرون)، وفيه تركيز صوتي على الموضع الذي أسند فيه الاستكبار إلى المبتدأ (هم) . فاستكبارهم متصل بهم، متمكن منهم، لا يكاد ينفك عنهم، وهو سبب إعراضهم عن الحقّ .

المبحث الثاني
المد الفرعي ومواضعه في سورة المنافقون

وما ورد منه في هذه السورة نوعان، هما:

١ـ المد الواجب المتصل:

ويكون بسبب الهمز، بأن يردا في كلمة واحدة، ويمدّ خمس حركات نحو: السماء، وجيء، وسوء [3]، وسمي متصلاً لاتصال حرف المد بسببه المد في كلمة واحدة، وسمي

(١) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٣٧ .
(٢) جامع البيان ٢٣/ ٣٩٧، وينظر: بحر العلوم ٣ / ٤٥١ .
(٣) ينظر: أحكام تجويد القرآن ٨، وهداية القاري ١ / ٢٨٠ .

واجباً ؛ لأنّ حكمه وجوب مده عند كل القراء[1] . وسبب هذا المد هو ثقل الهمزة في النطق ؛ لأنّها حرف شديد مجهور حلقي المخرج، فهي حرف قوي صعب، ولأنّ حرف المد ضعيف خفي، زيد في مده ؛ تقوية لضعفه عند مجاورته القوي، وللتمكن من النطق بالهمزة على حقها من شدتها وجهارتها[2].

وسأبين ما ورد من المد الواجب في آيات المنافقين في هذه السورة كما يأتي :

أ ـ في الأفعال :

قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (سورة المنافقون: من الآية ١) إذ ورد المدّ الواجب في الألف من فعل المجيء (جاءك)، وقد اتصل به مفعوله الكاف التي تدلّ على المخاطب، وهو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وفيه تركيز صوتي على فعل المجيء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وحضورهم مجلسه حضورا يصحبه قولهم المشهود عليه بأنّه كذب منهم، قالوه نفاقا وكذباً، لا عن صدق واعتقاد. وهو قول يصدر منهم في حضرته (عليه الصلاة والسلام) فقط، " ولهذا يؤكدون في الشهادة بإن ولام التأكيد في خبرها... كما أكذبهم الله في شهادتهم، وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم، بقوله: (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)."[3] فالتركيز المدي على فعل المجيء وما يدل عليه من حضورهم لمجلس النبي (صلى الله عليه وسلم)، فالسورة نزلت فيهم لبيان ظاهرهم في سوء صحبتهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأنّ ظاهرهم تصديق وإيمان وحقيقتهم خيانة وكذب . فالتركيز الصوتي على فعل من أفعال الظاهر، يتبعه بيان لكذب هذا الظاهر.

(١) ينظر: هداية القارئ ١ / ٢٨١ .
(٢) هداية القاري ١ / ٢٨٢ .
(٣) تفسير ابن كثير ١ / ١٧٧ .

ب ـ في الأسماء :

ومما جاء من المد الواجب في الأسماء ما ورد منه في قوله تعالى: ﴿ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٦ ﴾

وقد جاء المد الواجب بسبب الهمز في كلمة (سواء) فالصوت المدي مركز على ما تدلّ عليه من تسوية لما يرد بعدها من أمور، وعدم نفع الاستغفار لهم في كل حال، فاستغفار النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم كعدم استغفاره، لا ينفعهم شيئاً[1] . قال ابن عاشور: « واعلم أن تركيب: سواء عليه أكذا أم كذا، ونحوه مما جرى مجرى المثل فيلزم هذه الكلمات مع ما يناسبها من ضمائر المخبر عنه. ومدلوله استواء الأمرين لدى المجرور بحرف (على)، ولذلك يعقب بجملة تبين جهة الاستواء كجملة (لن يغفر الله لهم).»[2] كما ورد المد الواجب في كلمة (خزائن) من قوله تعالى: (ولله خزائن السماوات والأرض)، وفيه تركيز صوتي على هذه الكلمة وما تحمله من دلائل على أسباب الرزق، فهو مالك كل شيء، وقد وردت هذه اللفظة مسنداً إليه في سياق جملة اسمية، تقدم فيها المسند لغرض القصر[3]، والمعنى: أنّ « لله جميع ما في السموات والأرض من شيء وبيده مفاتيح خزائن ذلك، لا يقدر أحد أن يعطي أحدا شيئا إلا بمشيئته.»[4] والمد فيها يوحي بعظم هذه الخزائن، وبالإحاطة بها وشمولها .

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٢٨، واللباب في علوم الكتاب ١٩ / ١١٤، وفتح البيان ١٤ / ١٤٩ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٤٤ .
(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٤٨ .
(٤) جامع البيان ٢٣ / ٤٠١، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢ / ٧٤٨٧، ومعالم التنزيل ٥ / ١٠١، والكشاف ٤ / ٥٤٥ .

٢ـ المد الجائز المنفصل:

ويكون إذا وقع الهمز بعد حرف المدّ واللين، منفصلاً عنه بأن يكون حرف المد آخر الكلمة والهمز في الكلمة التي يليها[١] . ومقدار مده خمس حركات[٢]، وسمي منفصلاً لانفصال حرف المد عن الهمز أو لانفصال الشرط عن السبب، وسمي جائزاً ؛ لجواز قصره عن بعض القراء، والقصر حركتان كالمد الطبيعي[٣] .

وقد جاء المدّ الجائز في السورة، في واو الجماعة التي جاءت فاعلاً لفعل الاتخاذ (اتخذوا)، وهي تدلّ على المنافقين، ففي المدّ هنا تركيز صوتي على فاعل الاتخاذ، وهو الواو التي تشير إلى المنافقين، فهم من تمسكوا باليمين والحلف؛ «ليعصموا بها دماءهم وأموالهم.»[٤]، إذ إنّهم اتخذوها سترة، يستترون بها منه[٥]. فالمدّ في الفاعل ؛ بسبب الهمزة التي ابتدأ بها لفظ المفعول الأول (أيمانهم) جاء متوافقا مع المبالغة والتوكيد في قولهم الذي يظهرونه أمام النبيّ (صلى الله عليه وسلم): (نشهد إنّك لرسوله) . وفيه إيحاء إلى عظم فعلهم هذا بأن يظهروا الإيمان كذباً ونفاقاً ؛ ليتخفوا به بين المؤمنين، وهم يضمرون النفاق، ومن هنا كان توافقه مع جملة الذم لفعلهم هذا (إنّهم ساء ما كانوا يعملون) . ونرى المفعول الثاني لفعل الاتخاذ، وهو (جنّة)، الذي يبين الغاية من تلك الأيمان عند المنافقين، فهم ما تمسكوا به إلاّ لغرض حماية أنفسهم . ونجد التركيز الصوتي على هذا اللفظ بصوت الغنة في نونه المشدّدة. والجملة (اتخذوا أيمانهم جنة) مستأنفة استئنافا بيانياً

(١) ينظر: النشر ١ / ٣١٥، وهداية القاري ١ / ٢٨٣، وأحكام تجويد القرآن ٨ .
(٢) ينظر: أحكام تجويد القرآن ٨ .
(٣) ينظر: هداية القاري١ / ٢٨٤ .
(٤) وهذا التفسير نقله الطبري عن قتادة . جامع البيان ٢٣ / ٣٩٤ .
(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥ / ١٧٥ .

؛ لبيان «أنهم لا يضمرون بغضه، فأخبر الله عنهم بأنهم اتخذوا أيمانهم تقية يتقون بها.»[1] .ويجوز أن تكون كلاماً مستقلاً، في سياق تعداد قبائحهم، و « أن من دأبهم الاتقاء بالأيمان الكاذبة كما استجنوا بالشهادة الكاذبة.»[2]

كما ورد أيضاً في الجملة التي وردت حكاية عن لسانهم في قوله تعالى: (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ) . مركزا على الضمير المتصل (نا) الدالة على فاعل الرجوع الواقع شرطاً (إن) الواردة في سياق القسم، الذي ورد على لسان المنافقين، وهم يقسمون على أن يخرجوا من المدينة المؤمنين .

ثالثا ــ المد الفرعي والغنة في آيات خطاب المؤمنين في السورة :

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾

بعد إثبات العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين الذين اتبعوا دين الحق وآمنوا به وصدقوا، يوجه الخطاب لهم، مبتدئاً بندائهم بجملة (يا أيّها الذين آمنوا) . وهي جملة تحقق بها نداء المؤمنين بصفة الإيمان، وقد تحقق في أداة النداء (يا) المدّ الجائز ؛ بسبب الهمزة التي وردت بعده في كلمة (أيّ) التي لحقتها أداة التنبيه (ها). فالمدّ فيه تركيز على معنى النداء وتنبيه المنادى إلى ما سيأتي من كلام . وقد وصفهم وناداهم بصفة الإيمان، فالمقصود بالنداء جاء التعبير عنه بالاسم الموصول (الذين) المبين بصلته التي ابتدأت بالفعل الماضي (آمنوا)، والمعنى « يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله.»[3] فالصلة تبين ما يؤهلهم لامتثالهم للنهي الوارد بعد هذا النداء[4] .

(١) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٣٦ .
(٢) غاية الأماني ١٦٥ .
(٣) جامع البيان ٢٣ / ٤٠٧ .
(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥١ .

أمّا الخطاب الموجّه إليهم من ربهم العليّ، فهو نهي لهم عن أيّ شيء يشغلهم عن ذكره عزّ وجلّ وعبادته . فجاء ذكر أكثر ما ينشغل به الإنسان، وتقوده فطرته إلى التمسك به، وجبلت نفسه على حبه والتعلق به، وهو (المال والولد): (لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله)، ففي هذه الجملة ورد النهي عن الانشغال بالمال والولد « عن أداء الفرائض في مواقيتها .»[1] ويرد المد الجائز في (لا) النافية التي وقعت بين المعطوف وحرف العطف (ولا أولادكم)، وفيه تركيز على معنى النهي الموجه إلى الانشغال بالولد، فالنفس البشرية إن كانت مجبولة على الانشغال بالأموال، « والتصرف فيها: والسعي في تدبير أمرها: والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال، وابتغاء النتاج والتلذذ بها ؛ والاستمتاع بمنافعها.»[2] فإنّ تعلقها بالأولاد والسرور بهم والشفقة عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلح من معايشهم في حياتها وبعدها[3]. فالأولاد يكون الانشغال بهم مصحوباً بعاطفة الأبوة، إذ كثيرا ما يدعون أنّ لانشغالهم بجمع المال لأجلهم نصيبا من همّهم؛ فالتركيز الصوتي المتحصل من المد الجائز في ألف (لا) النافية التي جاءت لتوكيد النهي ؛ له أثره في زيادة هذا المعنى، فالنهي عن الانشغال بالمال ليس بالمستبعد، وهو مما يقبل الناس على إنمائه والتفكير به، « بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد. ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها، تشغل عن ذكره أيضا بالتذكير لكنزها بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها.»[4] ومن هنا تقدم ذكرها على ذكر الولد الذي تتعلق النفس به وتأنس به، فكان للمد في الألف أثره في تقرير التوكيد الحاصل بذكر (لا) النافية بعد النهي .قال ابن عاشور :» فأكد النهي عن

(١) تفسير التستري ١٦٨ .
(٢) الكشاف ٤ / ٥٤٥ .
(٣) ينظر: الكشاف ٤ / ٥٤٥، وينظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥١ .
(٤) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥١ .

الاشتغال بالأولاد بحرف النفي ليكون للاشتغال بالأولاد حظ مثل حظ الأموال.»[1] فكل هذا وما إليه من أعراض الدنيا « أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله.»[2] فالنهي موجه إلى المؤمنين عن الانشغال عما يلهيهم عن ذكر الله تعالى « وسائر العبادات المذكرة للمعبود، والمراد نهيهم عن اللهو بها. وتوجيه النهي إليها للمبالغة ولذا قال: ومن يفعل ذلك أي اللهو بها وهو الشغل.»[3] فالله تعالى قد منح الإنسان الأموال والأولاد ؛ «ليقوم بالخلافة في الأرض لا لتلهيه عن ذكر الله.»[4]

وترد الجملة الشرطية التي تبين مصير من انشغل من المؤمنين بالدنيا عن الآخرة، وبمتاعها عن ذكر ربه (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) .، والمعنى أنّ من يلهه ماله وولده عن ذكر الله تعالى، فأولئك « هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى.»[5] فهم مغبونون « بذهاب الدنيا وحرمان الآخرة.»[6] ويظهر صوت الغنة في اسم الشرط الجازم الدالّ على من شغل عن ذكر الله بمشاغل الدنيا من مال أو ولد، إذ ظهرت الغنة في نونه عند إدغامها إدغاماً ناقصاً في صوت الياء من يفعل . وفيه تركيز صوتي على معنى الشرط المتأتي من (من) الشرطية، وعلى ما يؤول إليه فعلهم من الخسران الذي يتضمنه جواب هذا الشرط، والمعنى أنّ من يلهه ماله وولده عن ذكر الله تعالى، فأولئك « هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى.»[7]

(١) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥١ .
(٢) الكشاف ٤/ ٥٤٥ .
(٣) أنوار التنزيل ٥ / ٢١٥، وينظر: إرشاد العقل السليم ٨ / ٢٥٤ .
(٤) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٨٠ .
(٥) جامع البيان ٢٣ / ٤١٠ .
(٦) بحر العلوم ٣ / ٤٥٣ .
(٧) جامع البيان ٢٣ / ٤١٠ .

فهم مغبونون « بذهاب الدنيا وحرمان الآخرة.»[1] وقد جاء جواب هذا الشرط ببنية الجملة الاسمية التي يتصدرها اسم الإشارة (أولئك) الذي يحيل إلى ما يتضمنه اسم الشرط (من)، والمقصود به كل من شغل عن ذكر الله تعالى . ويظهر في اسم الإشارة المد الواجب المتصل، بما يصحبه من تركيز صوتي على ما تدل الإشارة به من معنى، وللتنبيه على استحقاقهم المعنى الذي وصفوا به بالخبر، وهو الخسران، قال ابن عاشور: «والإشارة إليهم بـ(فأولئك)؛ للتنبيه على أنهم استحقوا ما بعد اسم الإشارة ؛ بسبب ما ذكر قبل اسم الإشارة، أعني اللهو عن ذكر الله.»[2] وقد أخبر عنهم بأسلوب القصر بضمير الفصل (فأولئك هم الخاسرون) . وقد بينه ابن عاشور بأنّه « قصر صفة الخاسر على الذين يفعلون الذي نهوا عنه، وهو قصر ادعائي للمبالغة في اتصافهم بالخسران كأن خسران غيرهم لا يعد خسرانا بالنسبة إلى خسرانهم.»[3] لأنّ حالهم يؤول إلى الخسران، وهم من أنعم الله تعالى عليه بنعمة الإيمان .

وبعد نهي المؤمنين عن الانشغال بالمال والولد عن ذكر الله، يرد الأمر الموجه إليهم بالإنفاق، في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

فالمؤمنون منهيون عن أن تكون الأموال شغلهم الذي يلهيهم عن ذكره تعالى، بل هم مأمورون أن يجعلوها سبيلاً يقربهم إليه تعالى بأن ينفقوا منها في سبيله، ويرد هذا الأمر في بنية الجملة الفعلية المتصدرة بالأمر بالإنفاق (وأنفقوا مما رزقناكم) . فهو أمر لهم بأن يبادروا بهذا العمل، قبل أن يحضرهم الموت، صوت الغنة فيها جاء مركزا على

(١) بحر العلوم ٣ / ٤٥٣ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥٢ .
(٣) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥٢ .

معنى الإنفاق (وأنفقوا)؛ بسبب الإخفاء الحاصل في النون الساكنة فيه؛ لالتقائها بحرف الفاء .

ويرد صوت الغنة في النون من حرف الجر (من) الداخل على ظرف الزمان (قبل): (من قبل أن يأتي أحدكم الموت). بسبب الإخفاء الحاصل من التقاء النون بالقاف . وفيه تركيز على الزمن الذي ينتهي فيه عمل الإنسان، وهو حضور الأجل. ويصحب هذا التركيز على الزمن تركيز آخر لصوت الغنة على معنى الحدث الذي سيحدث فيه (أن ياتي أحدكم الموت)، فحضور الموت وانقضاء الأجل فيه نهاية لحياة الإنسان وعمله؛ فيندم حيث لا ينفع الندم. . قال الطبري مبينا معنى الآية: « وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التي رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت: يا رب هلا أخرتني فتمهل لي في الأجل إلى أجل قريب. فأصدق يقول: فأزكي مالي (وأكن من الصالحين) يقول: وأعمل بطاعتك، وأؤدي فرائضك.»[1]

ثم يرد المد الجائز في الحرف (لولا) ؛ لالتقاءالألف بصوت الهمزة من الفعل الماضي (أخرتني)، (فيقول ربّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدَّقَ وأكن من الصالحين)، وهو حرف افتتح به سؤاله للرجعة « حين لا رجعة.»[2] فـ(لولا) هنا تفيد التمني، وهو تمني الرجوع إلى الدنيا ؛ لما رأى من الهلاك ؛ بسبب ترك الحقوق، وقد روي عن ابن عباس قوله: «» لو كان ثمة خير لما تمنى الكرة .»[3] وقال الماتريدي: «ولكن المعنى في ذلك عندنا – والله أعلم – أنه يتمنى الرجوع؛ ليتصدق ليس الإنفاق خاصة، ولكن ليتصدق، وليكون من الصالحين، أي: من الموحدين، وذلك مستقيم أن يقال إذا ترك التوحيد فنزل

(١) جامع البيان ٢٣ / ٤١٠.
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢ / ٧٤٩٣ .
(٣) تأويلات أهل السنة ١٠ / ٢٩ .

به الموت: إنه يتمنى الرجوع؛ لما يرى من الهلاك والعقوبة....»[1] وأجاز الثعلبي في (لولا) وجهين، الأول أن تكون (لا) صلة، و(لو) تفيد التمني . والثانية أن تكون (لولا) بمعنى (هلاّ)، فتفيد الاستفهام[2]. وهي إن أفادت الاستفهام فهو بمعنى التمني . فهو يتمنى الرجعة والتأخير إلى أجل آخر قريب . فالمد الجائز ورد أيضاً في ألف حرف الجر الذي يفيد انتهاء الغاية الزمانية (إلى أجل قريب)، فهو لا يتمنى الرجع لرغبته في الخلود في الدنيا، لكنه يتمنى الرجعة إلى أجل، وهذا الأجل قريب جاء في معناه أنّه» مثل ما أجلت في الدنيا.»[3] .

وقد ورد صوت الغنة المتناغم مع شدة الحسرة والندم لمن فوت فرصته في الفوز في حياته بعد انقضائها، جاءت الغنة في نون الفعل الناقص (أكن) المدغمة في الميم من حرف الجر (من): (وأكن من الصالحين) ، على معنى: « إن أخرتني أصدق وأكن من الصالحين.»[4] «وذلك أن قوله فأصدق لو لم يكن فيه الفاء كان جزما.»[5] فهو يريد فرصة أخرى، وحظا يسيرا من هذه الدنيا؛ لغرض هو أن يتصدق وأن يكون صالحاً ؛ ليكون من الفائزين. ولكن هيهات هيهات، بعد فوات الأوان وإفلات الفرصة. فصوت الغنة جاء مركزا على المعنى الذي وقعت الحسرة بسببه .

قال تعالى: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المنافقون: ١١ فصوت الغنة في حرف النفي (لن) الذي يفيد النفي والتأبيد، مركزا على

(١) تأويلات أهل السنة ١٠ / ٢٩ .
(٢) ينظر: الكشف والبيان ٩ / ٣٢٣ .
(٣) الكشف والبيان ٩ / ٣٢٣ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ١٧٨ .
(٥) الكشف والبيان ٩ / ٣٢٤ . وقرئ: (وأكونَ) بالنصب عطفاً على لفظ الفعل (أصّدّقَ)؛ لأنّه داخل معه في التمني . الكشف والبيان ٩/ ٣٢٣ .

معناها في نفي تأخير الأجل، وهذا التركيز يتناسب مع النفي المؤكد في الجملة بـ(لن)[1]، قال الزمخشري: هذا « نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة . والمعنى: إنكم إذا علمتم أنّ تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه . وأنه هاجم لا محالة، وأنّ الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها.»[2] وفي هذا النفي «حض على المبادرة ومسابقة الأجل بالعمل الصالح.»[3] فالمد الواجب في فعل المجيء الماضي (جاء) فيه تركيز صوتي على معناه مسنداً إلى الأجل، فهو حدث عظيم، ينبغي أن يستعد االإنسان لهذا المجيء في كلّ لحظة وحين، فوقته غير معلوم. «فالأجل هو المدة المعينة لحياته لا يؤخر عن أمده.»[4]

ويرد صوت الغنة في قوله تعالى (والله خبير بما تعملون)، تحديدا في التنوين اللاحق لكلمة (خبير) التي وقعت خبرا عن لفظ الجلالة (الله) في سياق جملة اسمية وردت تذييلاً للكلام السابق لها (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها) . فالجملة اسمية فيها ما فيها من قوة في الدلالة على الثبوت والتحقيق، وقد بين ذلك ابن عاشور بقوله: « ويفيد بناء الخبر على الجملة الاسمية تحقيق علم الله بما يعمله المؤمنون. ولما كان المؤمنون لا يخامرهم شك في ذلك كان التحقيق والتقوي راجعا إلى لازم الخبر وهو الوعد والوعيد والمقام هنا مقامهما لأن الإنفاق المأمور به منه الواجب المندوب. وفعلهما يستحق الوعد. وترك أولهما يستحق الوعيد.»[5] فهو تعالى خبير بما تعملون « فمجاز لكم عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت.»[6] وسبب هذه الغنة هو التقاء

(١) ينظر: التحرير والنوير ٢٨ / ٢٥٥ .
(٢) الكشاف ٤/ ٥٤٦ ، وينظر: فتح الغيب ٣٠/ ٥٥٠ .
(٣) المحرر الوجيز ٥ / ٢٩٠، وينظر: البحر المحيط ١٠ / ١٨٥ .
(٤) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥٥ .
(٥) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥٦ .
(٦) إرشاد العقل السليم ٨ / ٢٥٤، وينظر: البحر المديد ٧ :/ ٥٣ .

صوت التنوين بصوت الباء الجارة الداخلة على (ما) المصدرية ؛ فانقلب صوت التنوين إلى ميم ساكنة مخفاة إخفاء مصاحباً للغنة التي تقتضي التركيز الصوتي في الأداء القرآني على معنى لفظ (الخبير) مرتبطاً بدلالة الجار والمجرور اللذين تعلقا به، فمادة (خبير) تؤذن بالعلم « بالأمور الخفية ليفيد أنه تعالى عليم بما ظهر من الأعمال وما بطن مثل أعمال القلب التي هي العزائم والنيات.»[1]

(١) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٥٦ .

الخاتمة

بعد انتهاء صفحات هذا البحث، يمكن تلخيص أهمذ ما توصل إليه من نتائج، بما يأتي: ـ

١ ـ إنّ حرف التوكيد (إنّ)، المشددة نونه ورد في أوّل السورة على لسان المنافقين، وهم يؤكدون كلامهم في حضرة النبي (صلى الله عليه وسلّم)، يقابله إخبار من الله العليم الخبير، بصدق رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم ورد في سياقات تتبين فيها أحكام تتعلق بالمنافقين (إنّ المنافقين لكاذبون)، (إنّهم ساء ما يعملون)، (ذلك بأنّهم آمنوا ثم كفروا...)، (إنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين) .

٢ ـ وردت الغنة في النون من (لكنّ) المشددة، في موضعين من السورة، في سياق نفي الفقه، وفي سياق نفي العلم عن المنافقين، في قوله تعالى: (ولكن المنافقين لا يفقهون)، وقوله: (ولكنّ المنافقين لا يعلمون) .

٣ ـ وفي الأسماء، لم ترد الغنة إلاّ في النون المشددة من الكلمة (جنّة) في قوله تعالى: (اتخذوا أيمانهم جنّة)، وفيه تركيز على معناها، وهو التستر والخفاء الذي كان الغاية من أيمانهم.

٤ ـ أمّا صوت الغنة في النون الساكنة بسبب الإدغام الناقص، فقد ورد في موضعين، الأول منهما في سياق الشرط الذي يبين حسن بيانهم (وإن يقولوا تسمع لقولهم)، وفيه تركيز على قولهم ذي البيان الحسن الذي يجذب الأسماع . وفي الموضع الثاني ورد في سياق نفي مغفرة الله عالى لهم (لن يغفر لهم) . فهو تعال لن يصفح عن ذنوبهم، بل سينالهم جزاؤهم منه .

٥ ـ أمّا المد الواجب، فقد ورد في لفظ (جاءك) من الأفعال ، فالسورة نزلت فيهم

لبيان ظاهرهم في سوء صحبتهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأنّ ظاهرهم تصديق وإيمان وحقيقتهم خيانة وكذب . فالتركيز الصوتي على فعل من أفعال الظاهر، يتبعه بيان لكذب هذا الظاهر. وقد جاء المد الواجب في الأسماء، في كلمة (سواء) فالصوت المدي مركز على ما تدلّ عليه من تسوية لما يرد بعدها من أمور، وعدم نفع الاستغفار لهم في كل حال . كما ورد في كلمة (خزائن) من قوله تعالى: (ولله خزائن السماوات والأرض)، وفيه تركيز صوتي على هذه الكلمة وما تحمله من دلائل على أسباب الرزق. والمد فيها يوحي بعظم هذه الخزائن، وبالإحاطة بها وشمولها .

٦ ـ أمّا المد الجائز، فيظهر في السور في الضمائر، كالواو من (اتخذوا)، فالمدّ في الفاعل ؛ بسبب الهمزة التي ابتدأ بها لفظ المفعول الأول (أيمانهم) جاء متوافقا مع المبالغة والتوكيد في قولهم الذي يظهرونه أمام النبيّ (صلى الله عليه وسلم): (نشهد إنّك لرسوله) . وفيه إيحاء إلى عظم فعلهم هذا بأن يظهروا الإيمان كذباً ونفاقاً ؛ ليتخفوا به بين المؤمنين، وهم يضمرون النفاق. كما ورد أيضاً في الجملة التي وردت حكاية عن لسانهم في قوله تعالى: (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ) . مركزا على الضمير المتصل (نا) الدالة على فاعل الرجوع الواقع شرطاً (إن) الواردة في سياق القسم، الذي ورد على لسان المنافقين، وهم يقسمون على أن يخرجوا من المدينة المؤمنين .

٧ ـ كما ورد المد الجائز بالأدوات، فورد في الألف من (يا) النداءية (يا أيها الذين آمنوا)، وفيه تركيز على معنى النداء وتنبيه المنادى إلى ما سيأتي من كلام . كما ورد في (لا) النافية التي وقعت بين المعطوف وحرف العطف (ولا أولادكم)، وفيه تركيز على معنى النهي الموجه إلى الانشغال بالولد.

المصادر والمراجع

ـ إبراز المعاني من حرز الأماني: أبو شامة المقدسي الدمشقي(ت ٦٦٥هـ)، دار الكتب العلمية.

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ـ الأصول في النحو: ابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تح . عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تح. محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ .

ـ بحر العلوم: أبو الليث السمرقندي، تح . د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت .

ـ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، ط١ تح. الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، و زكريا عبد المجيد النوقي، و د. أحمد النجولي الجمل .

ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس ابن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ)، تح . أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ . من أول سورة الرحمن إلى آخر التفسير، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

ـ تأويلات أهل السنة: أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تح. د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

ـ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ .

ـ التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي (ت ٧٤١هـ)، تح. د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١ ،١٤١٦ هـ .

ـ تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله التُستري (ت ٢٨٣هـ)، جمع :أبي بكر محمد البلدي، تح . محمد باسل عيون السود، دارالكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ .

ـ تفسير القرآن: أبو المظفر السمعاني(ت ٤٨٩هـ)، تح. ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

ـ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، تح . سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

ـ التمهيد في علم التجويد: ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تح . د. على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض ،ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

ـ جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تح. أحمد محمد شاكر،، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

ـ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تح. هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م .

ـ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح. محمد علي النجار، عالم الكتب – بيروت.

ـ روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت .

ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تح. علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ ه .

ـ زاد المسير في علم التفسير: ابن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تح .عبد الرزاق المهد، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ .

ـ شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الأستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨ ه – ١٩٧٨ م.

ـ شرح المفصل للزمخشري: ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

ـ العميد في علم التجويد: محمود بن علي بسّة المصري (ت بعد ١٣٦٧هـ)، تح. محمد الصادق قمحاوى، دار العقيدة – الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

ـ غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني: أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت ٨٩٣هـ)، تح . محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

ـ فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، تح . عبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر – بيروت .

ـ الكافية في علم النحو: ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ)، تح . الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ، ٢٠١٠ م.

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :أبو القاسم

الزمخشري،تح . عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تح . الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .

ـ الكناش في فني النحو والصرف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ)، تح. د. رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان،٢٠٠٠ م.

ـ لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد الخازن، دار الفكر – بيروت / لبنان، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

ـ اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ)، تح . الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م .

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تح . عبد السلام عبد الشافي، محمد دار الكتب العلمية – لبنان، ط١ ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣م .

ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(المتوفى: ٥١٠هـ)، تح . عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ .

ـ معانى القرآن: أبو الحسن الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تح. الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .

ـ معاني القرآن: أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تح . أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١ .

ـ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ .

ـ النشر في القراءات العشر: ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، تح. علي محمد الضباع (ت١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى .

ـ النكت والعيون: أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تح . السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان .

ــ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

ـ هداية القاري إلى تجويد كلام الباري:: عبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي(ت ١٤٠٩هـ)، ط٢، مكتبة طيبة، المدينة المنورة.